**المحاضرة الرابعة**

1. **القصة القصيرة المعاصرة في الجزائر:**
2. **النشأة وظروفها:**

* **تمهيد:**

ظهرت القصة القصيرة في الجزائر متأخرة، بالنسبة إلى القصة في العالم العربي، وهذا بسبب الظروف التي شاهدتها الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، الذي حاول القضاء على الشخصية الوطنية من كل النواحي، سواء من الناحية السياسية، أو من الناحية الثقافية.

1. **أ: نشأتها:**

"وقع اختلاف بين الدارسين حول أول محاولة قصصية عرفها الأدب الجزائري، إذ يرى عبد المالك مرتاض: أن قصة المساواة "فرنسوا و الرشيد" هي أول محاولة قصصية عرفها النثر الحديث في الجزائر"(1).

"وذهبت عايدة أديب بامية: إلى أن أول قصة منشورة في الجزائر هي قصة "دمعة على البؤساء" التي نشرتها جريدة الشهاب(2). أما عبد الله الركيبي، فقد ذهب إلى أن بداية القصة القصيرة الجزائرية ترجع إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية في أوائل الخمسينيات(3).

1. **ب: ظروف تأخر نشأتها:**

هناك عدة عوائق وأسباب منعت القصة القصيرة الجزائرية في النشوء، وسنتحدث عن أهمها فيما يلي:

* **اللغة:** "لقد حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على اللغة العربية بشتى الطرق، هذا ما انعكس على الأدب عامة، وعلى القصة، بشكل خاص، ذلك أن القصة تحتاج إلى لغة مرنة، متطورة، لغة نستطيع أن تعبر في يسر عن أدق الخلجات وأعمق المشاعر بأشكال متنوعة حية"(4).
* "تأخر النهضة الثقافية العربية في الجزائر، وعدم الإيمان بدور القصة الأمر الذي لم يسمح بوجود جو لها كي تظهر كشكل أدبي مكتمل.
* سيطرة الاستعمار على الحياة الفكرية، والمدية، فقد ضرب حجابا صفيقا بين الجزائر، والثقافة العربية.
* توجيه الاهتمام، نحو الفكرة الإصلاحية والسلفية، أي صلاح العقيدة وإحياء التراث من لغة وتاريخ وأدب، وعدم الاهتمام بالفنون الأدبية خاصة القصة"(5).
* ضعف النقد والترجمة في الجزائر، وانعدام وسائل التشجيع للأديب القصاص.
* **التقاليد: "**أبرزها ما يتعلق بالمرأة في المجتمع، بحيث لم يكن مسموحا لها بالمشاركة لا في الحياة السياسية ولا في الحياة الاجتماعية"(6).

بالرغم من الأسباب المذكورة أعلاه، والتي أدت إلى تأخر الحركة الأدبية في الجزائر خاصة فن القصة القصيرة، إلا أنه وبمجرد تبلور الحس الوطني، وظهور حركات وطنية، سياسية وإصلاحية جاء بها العلماء والأدباء، استطاعت القصة أن تخطو خطوات واضحة في بداية التطور.

**ب-تطورها:**

تبلغ أن تبلغ القصة القصيرة الجزائرية نضجها الفني، ظهرت في بادئ الأمر من خلال شكلين قصصيين، وجدا فيهما الأدباء غايتهم للتعبير عن آرائهم، وهمما المقال القصصي، والصورة القصصية.

**ب-أ: المقال القصصي:**

"ماهو إلا صورة من المقال الإصلاحي الديني خاصة في مضمونه، ووظيفته وبالرغم من أنه لا يحفل كثيرا بالسمات الأساسية للقصة القصيرة من رسم لشخصيته، وربط فني منطقي، بين الحوادث، إلا أنه لعب دورا مهما في بداية ظهور القصة الفنية، في ظل الصراع، والغليان، الذي عرفه الشعب الجزائري، محاولا الدفاع عن هويته وكيانه"(7).

**ب-ب: الصورة القصصية:**

"فهي تهدف إلى رسم لوحة للطبيعة، أو صورة كاريكاتورية، لشخصية إنسانية، أو التركيز على فكرة معينة، تنطبع في ذهن القارئ، مثلما انطبعت في ذهن الكاتب، فليس فيها اعتناء بتطور الحدث ولا برسم الشخصية، بقدر ما نعبر عن آراء الكاتب، وأفكاره فالسرد فيها يميل إلى الوعظية لا إلى الإيحاء والهمس.

ومنا الكتاب الذين اشتهروا بها السعيد الزاهري، محمد بن العابد الجلالي، وأحمد بن عاشور وزهور ونيسي وغيرهم"(8).

يعد كل من المقال القصصي، والصورة القصصية، البذرة الأولى في تطور القصة القصيرة في الجزائر حيث استعملا لتعبير عن الوضع الذي عرفه الشعب الجزائري، من ظلم ومعاناة، وكانا فاتحة خير بداية ظهور القصة القصيرة الفنية.

**ت- عوامل تطور القصة القصيرة الفنية:**

يمكن حصر العوامل التي أدت إلى تطور القصة القصيرة الفنية في الجزائر في أربعة:

**ت-أ: اليقظة الفكرية:**

"جاءت هذه اليقظة تعبيرا عن موقف حضاري، أحس فيه الشعب الجزائري، بشخصيته، وقوميته وعروبته، وماضيه، وجاءت أيضا نتيجة تحرر الشعوب عامة، ونتيجة مشاركة الشعب الجزائري في الحرب خاصة، ولهذا فإن الحركة السياسية قد تطورت وتطورت معها أفكار البورجوازية، والمثقفين الذين كانوا يؤمنون بالوسائل السليمة، هذا ما فتح المجال أمام القصة لتتحدث عن موضوعات مختلفة تتناول الواقع، كما بدأ الاهتمام بعناصر القصة القصيرة بشكل أوضح"(9).

**ت-ب: البعثات الثقافية للمشرق العربي:**

"بعد احتكاك الجزائريين بالعرب، في إطار البعثات الثقافية للمشرق العربي، حيث وجدوا هناك النماذج القصصية التي كانت قد بلغت درجة من الجودة والإتقان، كل هذا ساهم في تطور القصة الجزائرية، وأتاح الفرصة أمامها في خوض تجارب جديدة إن كان في الشكل، أو في المضمون.

وهكذا ظهرت موضوعات عديدة ومتنوعة تحدثت عن مشاكل الشباب، وعن الحب والمرأة وعلاقة المرأة بالرجل دون حرج ودون خوف من قيود البيئة، أو الضغط الاجتماعي، وبالتالي اتضحت معالمها أكثر وبرزت بشكل أوضح"(10).

**ت-ج: الحافز الفني لكتابة القصة:**

"تعددت الحوافز لكتابة القصة القصيرة، هناك من كتبها بدافع ملء الفراغ، والشعور بأن الأدب الجزائري قد خلا منها، وهناك من كتبها بدافع الحماس، بسبب الثورة، فأراد أن يسجل أحداثها، ويصور أبطالها، ولكن هناك أخيرا من كتبها بدافع فني، أدبي، يحقق فيه ذاته، ووجوده وهذا النوع هو الذي ساهم في تطويرها"(11).

**ت- د: الثورة:**

"تعد الثورة من أكثر المجالات لكتاب القصة القصيرة، حيث غيرت كثيرا نظرتهم للواقع، فظروف النضال كشفت لهم عن إمكانيات ضخمة، وتجارب جديدة دفعتهم للبحث سواء كان في الموضوع أو في المضمون، أو في الشكل"(12).

إلى جانب العوامل الأربعة التي ذكرناها سابقا، كذلك الصحافة العربية لأسهمت إلى حد كبير في نشر القصة الجزائرية، ونظرت إليها على أساس أنها لون أدبي ينبغي دعمه وإعلاؤه.

"علاوة على أنها كانت تنظر إليها على أساس أنها قضية قومية، وعمل ثوري ملتزم يجب أن يكون له الأولوية في النشر، وكل تقاعس في نشرها، كان يعني في كثير من الأحيان تقاعسا عن مناصرة الثورة الجزائرية لذلك كانت دور النشر تتهافت على القصة الجزائرية، وتحرص على تقديمها للقراء"(13).

**ث- كتابها:**

لمع في الساحة الأدبية الجزائرية أسماء كثيرة كان لها الفضل في ظهور فن القصة القصيرة بالجزائر.

**ث-أ:** **أحمد رضا حوحو:** فإنه يعدّ أول أديب برز إلى الميدان بإضفائه على الأدب الجزائري العربي شكلا آخر من أشكال التعبير، غير الشعر، الأقصوصة، أو السيرة في الثلاثينيات عندما نشر قصته غادة أم القرى"(14).

كما أنه يعد الرائد الذي وضع اللبنة الأولى للقصة العربية في الجزائر، وهو الكاتب الذي تحمل عبأها مدة لا تقل عن عشر سنوات كاتبا، وناقدا، ومترجما في زمن خلت فيه القصة من كتابها"(15).

ثم جاء بعده أدباء جيل الثورة الذين يعود إليهم الفضل في تطوير الفن القصصي في الجزائر من بين هؤلاء الكتاب.

**ث-ب: عبد الحميد بن هدوقة:** (1925- 1996) وهو أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية ومن أوائل الكتاب الذين وظفوا أدبهم للتعبير عن حرب التحرير، وعن الموضوعات الجديدة التي نشأت مع تطور المجتمع الجزائري، خصوصا بعد الاستقلال.

عالج في كتاباته موضوع الثورة التحريرية، والريف الجزائري ومشكلات المغتربين الجزائريين(16).

**ث-ج: عبد الله الركيبي:** (1928-2011) "احد الكتاب البارزين منذ أيام الثورة، قصر همه في القصة القصيرة ومعالجة موضوعات الحرب التحريرية، وتصوير حياة المجاهدين في الجبال، ومعاركهم الكثيرة مع الجيش الفرنسي، وتدل مجموعته القصصية "نفوس ثائرة"، على وعي فني كبير، فإن معظم قصصه، صورت الواقع الجزائري المعاش بكل تفاصيله"(17).

**ث-د: عثمان سعدي:** (ولد سنة 1930) ركز هو الآخر على موضوعات الثورة، ألف مجموعة قصصية وحيدة بعنوان "تحت الجسر المعلق" اتسمت بطول الزمن، وتعدد الشخصيات، وكثرة الأحداث(18).

**ث-ه: أبو العيد دودو:** (1934-2004) من أبرز كتاب جيل الثورة، تميز عن أعلام جيله بأنه بقي وفيا للقصة(19).

**ث-و: زهور ونيسي** (1936) من أبرز الأدبيات الجزائريات، تتميز مواضيعها بغناها السياسي، والاجتماعي، والفكري، والنضالي وتركيزها الشديد على عنصر المرأة الجزائرية زوجة أو أما مثقفة أو أمية ريفية، أو حضرية، جندية في جيش التحرير أو مسؤولة عنها(20).

**ث-ي:** **الطاهر وطار:** (1936-2010) الذي يعدّ هو الآخر رائدا من رواد القصة القصيرة، ولد في بيئة ريفية وأسرة أمازيغية في إقليم يمتد من باتنة غربا إلى خنشلة جنوبا.

**خ- موضوعاتها:**

إن معظم موضوعات القصة القصيرة الجزائرية، كان يدور حول الثورة، وما يتصل بها من حديث عن الهجرة خارج الوطن، أو أثار الاستعمار، ثم التقاليد والعادات وما يتصل بهما من تصوير لعلاقة الرجل بالمرأة، وبعدها ظهرت موضوعات تتناول الواقع الجديد بعد الاستقلال(21).

ومما سبق فإن نشأت القصة القصيرة في الجزائر جاءت متأخرة بفضل مجموعة من العوامل أهمها الثورة التحريرية الكبرى. والفقر الثقافي الجزائري المسلط من قبل فرنسا . وبعد الاستقلال ظهرت كوكبة من الأدباء الذين اعتنوا بالقصة القصيرة تنظيرا وتأليفا من أساتذة جامعيين وبلغات متعددة، ومثقفين وطلبة فظهرت ثلة ممن اختصوا بهذا الجنس الأدبي ولايزالون يتطورون شكلا ومضمونا.

**الهوامش**

1. عبد المالك مرتاض، "فنون النثر في الأدب الجزائري" (1931،1945)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1، 1983، ص162،163.
2. عايدة اديب بامية، "تطور الأدب القصصي في الجزائر"، ت، محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص306.
3. عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1978، ص175.
4. عبد الله الركيبي، "القصة الجزائرية القصيرة"، ص18.
5. المرجع نفسه، ص47، ص48.
6. عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، ص 163-164.
7. المرجع نفسه، ص167-168.
8. عبد الله الركيبي، "النثر الجزائري الحديث"، ص169-170.
9. ينظر، عبد الله الركيبي، "القصة الجزائرية القصيرة"، ص134.
10. عبد الله الركيبي، "القصة القصيرة الجزائرية"، ص135.
11. المرجع نفسه، ص136.
12. المرجع نفسه، ص139.
13. شريبط أحمد شريبط، "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة"، ص167.
14. جلالي خلاص، "مجلة سنة الجزائر في فرنسا، عدد خاص بالقصة القصيرة"، العدد السادس الجزائر، أفريل- ماي، 2003، ص26.
15. مخلوف عامر، "مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر"، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 مزيدة ومنقحة، ص41.
16. شريبط أحمد شريبط، "تطور البنية القصصية في القصة الجزائرية المعاصرة"، ص144.
17. شريبط أحمد شريبط، "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة"، ص53.
18. ينظر: المرجع نفسه، ص156.
19. المرجع نفسه، ص159.
20. ينظر: عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، ص180.
21. ينظر: عبد الله الركيبي، "تطور النشر الجزائري الحديث"، ص179.